

## تفسير ابن كثير

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عون بن أبي جحيفة عن المنذر بن جرير عن أبيه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر النهار قال : فجاءه قوم حفاة عراة محتابي النمار أو العباء متقلدي السيف عامتهم من مضر بلكلهم من مضر فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة قال : فدخل ثم خرج فأمر بلاه فأذن وأقام الصلاة فصلى ثم خطب فقال : [ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة إلى آخر الاية وقرأ الاية التي في الحشر { ولتنظر نفس ما قدمت لغد } تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره - حتى قال - ولو بشق تمرة ] قال : فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت ثم تتبع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل وجهه كأنه مذهبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [ من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها وزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء ] انفرد بإخراجه مسلم من حديث شعبة بإسناده مثله فقوله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله } أمر يتقواه وهو يشمل فعل ما به أمر وترك ما عنه زجر .

وقوله تعالى : { ولتنظر نفس ما قدمت لغد } أي حاسبو أنفسكم قبل أن تحاسبوا وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم { واتقوا الله } تأكيد ثان { إن الله خبير بما تعملون } أي اعلموا أنه عالم بجميع أعمالكم وأحوالكم لا تخفي عليه منكم خافية ولا يغيب من أموركم جليل ولا حقير وقوله تعالى : { ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم } أي لا تنسوا ذكر الله تعالى : فينسيكم العمل لمصالح أنفسكم التي تنفعكم في معادكم فإن الجزاء من جنس العمل ولهذا قال تعالى : { أولئك هم الفاسدون } أي الخارجون عن طاعة الله الهالكون يوم القيمة الخاسرون يوم معادهم كما قال تعالى : { يا أيها الذين آمنوا لا تلهموا أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون } .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة الحوطى حدثنا المغيرة حدثنا جرير بن عثمان عن نعيم بن نعمة قال : كان في خطبة أبي بكر الصديق عليه السلام : أما تعلمون أنكم تغدون وتروحون لأجل معلوم فمن استطاع أن يقضي الأجل وهو في عمل الله فليفعل ولن تنالوا ذلك إلا بما له إن قوما جعلوا آجالهم لغيرهم فنهاكم الله أن تكونوا

أمثالهم { ولا تكونوا كالذين نسوا إِنْفَسْهُمْ } أين من تعرفون من إخوانكم ؟ قدموا على ما قدموا في أيام سلفهم وخلوا بالشقاوة والسعادة وأين الجبارون الأولون الذي بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط ؟ قد صاروا تحت الصخر والابار هذا كتاب إِنْ لا تفني عجائبه فاستضيئوا منه ليوم ظلمة واستضيئوا بسنائه وبيانه إن إِنْ تعالى أثني على زكريا وأهل بيته فقال تعالى : { إِنَّهُمْ كَانُوا يَسْأَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رُغْبَاً وَرَهْبَاً وَكَانُوا لَنَا خَاسِعِينَ } لا خير في قول لا يراد به وجه إِنْ ولا خير في مال لا ينفق في سبيل إِنْ ولا خير فيمن يغلب جهله حلمه ولا خير فيمن يخاف في إِنْ لومة لائم هذا إسناد جيد ورجاله كلهم ثقات وشيخ جريز بن عثمان وهو نعيم بن نمحة لا أعرفه بنفي ولا إثبات غير أن أبو داود السجستاني قد حكم بأن شيخ حرير كلهم ثقات وقد روى لهذه الخطبة شواهد من وجوه آخر وإِنْ أعلم . وقوله تعالى : { لَا يَسْتُوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ } أي لا يستوي هؤلاء وهؤلاء في حكم إِنْ تعالى يوم القيمة كما قال تعالى : { أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلُهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءٌ مَا يَحْكُمُونَ } وقال تعالى : { وَمَا يَسْتُوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ } وقال تعالى : { أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ ؟ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَقِينَ كَالْفَجَارِ } في آيات آخر دالات على أن إِنْ تعالى يكرم الأبرار ويهين الفجار ولهذا قال تعالى هنا : { أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ } أي الناجون المسلمين من عذاب إِنْ D